ويعمل البنيان الايدولوجي وينشر مقولاته مـــن خلال قنوات وأدوات ايدولوجيـــة متعددة « الراديو والتلفزيون ، الصحف ، الكتب ... » . وهكذا فان الفرد يتلقى أفكار الطبقة المسيطرة من خلال أشكال عدة ، سمعية وبصرية وسمعية ــ بصرية ، ويصبح في النهاية غارقا في بحر ايدولوجيا الطبقة المسيطرة ، أي مطية سهلة لها .

انطلاقا من المعطيات السابقة سنحاول الآن أن نقوم **بقراءة ايدولوجية** للصحافة العربية عشية وبعد هزيمة الخامس من حزيران ، لنرى مـــا هي الدلالة الايدولوجية والسياسية لمنطقها ، وما هي المصالح السياسية والطبقية الكامنة وراء كل كلمة قالتها هذه الصحف. أي اننا سنحاول قراءة المنطق الداخلي لهذه الصحافة في صنعها وفبركتها « للحقائق » ، وهل قامت بعكس دقيق للواقع بكل محدداته ، أم أنها لوت عنق الحقائق لتكرس وتبرر واقعا هتكته الحقيقة فهرع وراء التضليل ليجعله قانونا .

نقول منذ البدء ان الكلمة البريئة لا وجود لها ، فكل كلمـــة تفرز مضمونا سياسيا وايدولوجيا محددا ، وتتبنى بوعي أو بدون وعي مصالح وأهداف فريق ما . ولقد يبدو أحيانا للبعض أن الصحف (جزء منها على الاقل) أرادت أن تقول الحقيقة الموضوعية فقط ، أي حقيقة بدون موقف سياسي ، لكن هذا الاعتقاد يتلاشى عندمـــا نحلل هذه « الحقيقة الموضوعية » معرفيا ، أي عندما نربط رؤيا العـــالم ومنطق البحث بنتائجه السياسية . ذلك ان موضوعية أي منطق تتحدد مـــن خلال موقعه بالنسبة لحـــركة التاريخ ، أي هل يساهم في دفع قضية الحرية والتحرر الى الامام ، أم يحاول من خلال التضليل أن يشدها الى الوراء .

الصحافة العربية والمنطق المثالي

حاولت معظم الصحف أن ترسم لوحة للأحداث بدون أي تحديد تاريخي أو اجتماعي أو سياسي ، بل بواسطة ترسانة لغوية غيبية ، لغة ايديولوجية لا تعرف التحديد ، لغة لا زمانية ولا مكانية تهيم في عالم المطلق والمجرد ، فليس هناك طبقـــات ، ولا قوى سياسية تعمل بمشيئة الامبريالية ولمصالحها ، ولا قوى سياسية مهدت بممارساتها الارضية المولدة للهزيمة ، كان يدور منطـــق هذه الصحف في متاهـــة اللاتحديد ، لان التحديد يعني الادانة ، ينبغي اذن ادانة ما يصعب تحديده اجتماعيا وسياسيا، فالهزيمة تعود الى « العقل العربي الذي عطله الارهاب الفكري وسياسة التخوين والاتهام »(٣)، فالتحليل هنا يهرب وراء كلمتين غائمتين « العقل » و« العربي » ، وبالتالي يبقى قفص الاتهام فارغا ، فاللاتحديد هنا يتواطأ كي يخفي ما يجب تحديده وبالتالي ادانته . لهذا فان الصحف كانت تحلل دائما معركة « الامة العربية » وليس معركة أنظمة محددة بممارساتها الايدولوجية والسياسية والاقتصادية « ان المعـــركة التي خاضتها الامة العربية ، كانت معركة مباشرة ، معركة وجه لوجه ضد الاستعمار القديم »(٤). ان هذا المنطق يخلط عمدا ما بين « الانظمة » و« الامة » ، معنى ذلك ان المعركة لم تكن معركة « طبقة مسيطرة سياسية » بل معركة الامة العربية قاطبة ، وهذا يعني منطقيا ان الهزيمة ليست هزيمة لانظمة محددة بل للعرب أجمعين ، هنا **الجزء** المسيطر يحاول أن يخفي سقوطه باسقاطه على **الكل** من خلال تماثل مغتصب ، أي يجعل نفسه ممثلا شرعيا للكل واضعا مكان علاقة التضاد بين الكل والجزء علاقـــة المصالحة والمطابقة بينهما ، ومعطيا نفسه بنفسه صفة الشرعية : شرعية الوجود وشرعية الهزيمة . فالجزء ممثل للكل والكل هذا « كان في مستوى المعركة ولا يزال »(٥)، اذن فالنظـــام المهزوم كان ولا يزال أيضا في مستوى المعركة ، فهو هنا يغتصب الشرعية ليعود فيبرر الهزيمة . تبدو الهزيمة اذن للكل وليس للجزء وان كان هناك مـــا يحتاج الى تغيير